

اللغة العربية قديما وحديثا

أ.د/ محمد ورنيتي

جامعة عمار ثلجي - الأغواط

1) مفهوم اللغة العربية:

أ) تعريف اللغة:

اللغة «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹، وأما تعريفها ومعرفة حروفها «فإنها فُعلة من لغوت أي تكلمت، وأصلها لُغوة ككرة»² واللغة هي الوسيلة الأوفر حظا في حصول التفاهم بين الناس عن طريق النطق بالألفاظ لأن عمدة «اللغة الألفاظ التي يتداولها القوم الذين اصطلحوا عليها بحيث لو حدّثوا بغيرها لم يحصل بينهم تفاهم»³.

* اللسان: وقد ذكرت كلمة أخرى في القرآن تعبيرا عن آلة النطق وهي: (اللسان)، ذكرت امتنانا وتذكيرا بقيمتها في حياة الإنسان، وقد عدت من أكبر النعم التي حضى بها الإنسان بل عدت من أعظم آيات التكريم في حقه قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾⁴، قال قتادة: «أي بلغة قومه ما كانت»⁵. وقال سبحانه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾⁶ وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ، وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾⁷ وقال سبحانه:

1 الخصاص، ابن جني، ج 1/ص 33.

2 الخصاص، ج 1/ص 33.

3 التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط 1، 1422 هـ، ص، ص 34

4 سورة إبراهيم، الآية 4

5 تفسير الطبري، ج 13/ص 181.

6 الروم، الآية 22

7 البلد، الآيات 8-10

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾¹ وقد أقسم الله على المغيبات بذاته وشبه وجودها بنعمة النطق التي لا تنكر قال سبحانه: ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلِ مَا أَنْكُمْ تَنْطِفُونَ﴾².

فما العناية باللغة وأداتها - اللسان - لأعظم نعمة تجلت فيها عناية الخالق بهذا الإنسان الذي قال فيه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾³ لأنها آلة التواصل والتفاهم والتخاطب والتعارف.

وما يشر الانتباه أن آية الروم جعلت اختلاف الألسن بمنزلة آية خلق السماوات والأرض، وبمنزلة اختلاف الألوان وجعلت كل ذلك آيات من آيات الله فلتقرأ الآية مرة أخرى بتدبر قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾، إذن الأمر جدير بالعناية والتدبر والاعتبار وقد توسطت آية اختلاف الألسن آية خلق السماوات والأرض وآية اختلاف الألوان على الرغم من كون السماوات والأرض أعظم الآيات كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾⁴.

(ب) العربية:

نسبة إلى العرب وذلك «لما يعزى إليها من الفصاحة والإعراب والبيان⁵ فالإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ... وهو مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه وفلان معرب عما في نفسه مبين له وموضح عنه...»⁶.

1 الذريات، الآية 97.

2 الذريات، الآية 23.

3 الإسراء، الآية 70

4 سورة غافر، الآية 57.

5 الخصائص، ج1/ص36

6 الخصائص، ج1/ص35-36

ومنه قوله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾¹.

إذن فالعربية قيد لكلمة اللغة وتميز لها عن غيرها من اللغات .

واللغة العربية هي اللغة التي اختيرت لتكون وعاء آخر كلمات الله إلى أبناء آدم، بعد أن نزلت كلمات الله في ما مضى بلغات أخرى .

وذلك سيرا على سنة الله المطردة في إرسال الرسل عليهم السلام بلسان أقوامهم قال

تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾².

وقد جاء التنصيص على عربية القرآن في غير ما آية قال تعالى ﴿إنا أنزلناه قرآنا

عربيا لعلمكم تعلقون﴾³

وقال: ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث

لهم ذكرا﴾⁴. وقال سبحانه: ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾⁵. وقال سبحانه:

﴿تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا﴾⁶.

وقال سبحانه: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾⁷ إلى آخره من الآيات التي نصت

على العربية في القرآن.

وقد ردت شبهات المعادين لعربية القرآن في مثل قوله تعالى ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون

إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان مبين﴾⁸

1 سورة الرحمن، الآيات 1-4.

2 سورة إبراهيم، الآية 4

3 سورة يوسف، الآية 2.

4 سورة طه، الآية 113

5 سورة الزمر، الآية 28

6 سورة فصلت، الآية 1-2

7 سورة الزخرف، الآية 3.

8 سورة النحل، الآية 103.

وقال سبحانه: ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته آعجمي وعربي ؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾¹ .

وقال الله تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا﴾² . وقال الله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾³ وقال سبحانه: ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لتنذر الذين ظلموا وبشري للمحسنين﴾⁴ . وهكذا تتابعت هذه الآيات الكريمة في التنصيص على عربية القرآن ودفع كل شبهة عنه ويكفي أن يكون دليله من ذاته.

2) مكانة اللغة العربية في القرآن والسنة:

إنّ النّص - خصوصا الأدبي - هو بناء لغوي قائم على قواعد اللغة ونظامها «مما يعطي للتحليل اللغوي أهميته في الكشف عن المعنى، ويجعل اللغة قاسما مشتركا في التحليل بين جميع النصوص المكتوبة بتلك اللغة مع مراعاة خصوصية كل نص بحسب موضوعه ومستواه الخطابي»⁵ والمتكلم به .

وإذ القرآن الكريم نص لغوي، وهو كلام رباني فقد نزل بلغة الذين كانوا أول من حوَّطب بهم العرب الفصحاء قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾⁶ وذلك جريا على سنة الله

1 سورة فصلت، الآية 44.

2 سورة الرعد، الآية 38

3 سورة الشورى، الآية 5.

4 سورة الأحقاف، الآية 11.

5 التفسير اللغوي، مساعد طيار، ص 7

6 سورة الشعراء، الآيات 192 - 196

المطردة في إرسال الرسل عليهم السلام بلسان أقوامهم قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾¹... إلخ... من الآيات التي نصت على عربية القرآن .

فإذن لما كان الأمر كذلك فإنه لا يمكن العدول عن هذه اللغة التي نزل بها القرآن إلى
غيرها إذا أريد تفسير الكتاب الذي نزل بها لأن معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا منها . قال ابن
فارس: «إن العلم بلغة العرب واجب على كل مكلف متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا
بسبب لا غناء لأحد منهم عنه .

وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي، فمن أراد
معرفة ما في كتاب الله جل وعز وما في سنة رسول اله صلى الله عليه وسلم من كل كلمة غريبة
أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا»² .

وقال الشاطبي: «لابد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأئمة وهم العرب الذين نزل
القرآن بلسانهم فإن كان للعرب في لسانهم، عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم
الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في
المعاني والألفاظ والأساليب»³ . إذن يفهم من هذا «أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن،
لأن من أراد تفسيره، وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها القرآن فإنه لا شك سيقع في الزلل بل
سيحرف الكلم عن مواضعه»⁴ .

ولذلك شدد العلماء النكير على من فسر القرآن وهو جاهل بلغة العرب فقد روى عن
مجاهد - 104 هـ - وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «لا يحل لأحد يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب»⁵ .

1 سورة إبراهيم، الآية 4.

2 التفسير اللغوي، ص 40 - 41 .

3 الموافقات، الشاطبي، ج 2/ص 82، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1/ص 18 .

4 التفسير اللغوي: ص 41.

5 البرهان، الزركشي، ج 1 / ص 292.

وروى عن الإمام مالك قوله: «لا أوتى برجل يفسر كلام الله وهو غير عارف بلغة العرب إلا جعلته نكالا»¹.

وروى عن شعبة بن الحجاج قوله: مثل صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثل الحمار عليه مخلاة لا علف فيها. وقال حماد بن سلمة: «من طلب الحديث، ولم يتعلم النحو - أو قال: العربية- فهو كمثل الحمار تعلق عليه مخلاة ليس فيها شعير»².

وقال ابن عطية: «إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع»³، قال صاحب الدلائل: «فغالبا ما يأتي النقص على أهل التأويل والتفسير من جهة النقص في علم اللغة»⁴.

وقد عد الدارسون أن الزهد في دراسة النحو وإصغاره والتهاون فيه «أشبه ما يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه»⁵.

وهذا العلم بالضرورة يتصل بالوجه البلاغي المعجز الذي «هو باب من العلم إذا أنت فتحتة اطلعت منه على فوائد جلييلة، ومعان شريفة، ورأيت له أثرا في الدين عظيما، وفائدة جسيمة ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل»⁶.

وعلى الرغم من مكانة اللغة العربية في فهم القرآن الكريم فإنه يجب الاحتياط حتى لا يحمل كلام الله مالا يحتمل وهذا ابن جنى يحذر من ركوب بعض الاحتمالات الإعرابية قال: فإذا مر بك شيء من هذا عن أصحابنا فأحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فإن أمكنك أن يكون تقدير

1 البرهان، الزركشي، ج 2 /ص 160 .

2 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 1/ص 24.

3 المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 1/ص 14

4 دلائل الإعجاز، عبد القاهر المرجاني، ص 7.

5 دلائل الإعجاز، ص 28. انظر: إعجاز القرآن، الرفاعي، ص 104 - 105.

6 الدلائل: ص 41

الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ملا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه... وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه¹.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذکر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له...»².

ويعلل الإمام الشافعي رحمه الله ابتداء الكلام في هذا الموضوع وإيجابه بقوله: «وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها»³.

إذن هذا القرآن كما نعلم نزل معجزا للعرب الذين نبغوا في اللغة وكانوا يقيمون لها أسواقا مثل المعارض التي نقيمها نحن لصناعتنا المتقدمة .

ولذلك شاء الحق سبحانه أن تأتي معجزة الرسول الخاتم من جنس ما نبغوا فيه، فلو كانت المعجزة من جنس غير ما نبغوا فيه ولم يألفوه لقالوا: لو تعلمنا هذا الأمر لصنعنا ما يفوقه . وجاءتهم معجزة القرآن من نفس الجنس الذي نبغوا فيه، وباللغة العربية وبنفس المفردات المكونة من الحروف التي يكونون منها كلماتهم.

3) مفهوم الانتماء الحضاري:

أصل الكلمة: الحضارة، وحذفت التاء وحيء بالياء للنسب أو الانتساب لأن ياء النسب قيد وتحديد لجهة ما أو الوجهة .

1 الخصائص، ابن جني، ج1/ص283، تفسير الطبري، ج1/ص34، مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص81.

2 الرسالة، الإمام الشافعي، ص 48 - 49

3 الرسالة، ص 50 .

والحضارة في مجملها: تعني السكن في الحواضر جمع حضيرة وهي المدن قال ابن خلدون: «فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما»¹، وقال مرة أخرى: «إن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه»⁴، وقال أيضا: «وأن الحضارة غاية للبداوة»² وذلك يمليه أصل كبير وهو «أن الاجتماع للإنسان ضروري»³ لأنه مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع لتحقيق غريزة الاجتماع التي هي وجه ثان من وجهي طبيعته المزدوجة التي هي: غريزة الفردية .

وقد أعلن عن هذه الأصول في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾⁴ فبتدبرنا المكين في هذه الآية تفصح لنا عن ثلاثة مبادئ كبرى هي جماع قيم حياة الإنسان الكبرى وهي:

1. مبدأ وحدة الإنسانية في أصلها .

2. مبدأ التعارف والتواصل وتبادل المنافع مع اختلاف الفروع .

3. مبدأ التقوى الذي هو روح المبدأين السابقين.

ولاكتمال الصورة وبيانها أكبر نقراً:

قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبنت منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾⁵، تدبر هذا التكامل الرائع بين الآيتين وتنوع أساليبيهما وكيف أفصحتا عن جذور الإنسان المشتركة الدالة على الوحدة الضاربة في عمق التاريخ: عقيدة ونشأة وميلا وتناسلا ولغة وتكاثرا وانتشارا واجتماعا وافتراقا ويتصل أيضا .

1 المقدمة، ابن خلدون، ص 163 .

2 المقدمة، بن خلدون، ص 450 .

3 المقدمة: ص 65 .

4 سورة الحجرات، الآية 13 .

5 سورة النساء، ص 1.

هذا بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾¹.

4) مفهوم اللغة العربية وعلاقتها بالانتماء الحضاري:

لعل الأمر اتضح ووضح من هذا التركيب الذي هو: اللغة العربية والانتماء الحضاري أعني علاقة اللغة العربية بالمنجزات الحضارية منذ نزول القرآن بها، وعلاقة المنجزات الحضارية باللغة العربية إلى يومنا هذا وما يأتي بعدنا، ودور كل واحد منهما في الآخر .

معنى الدور: الدور والدوران حركة جسم رحوية (أي كحركة الرحى) منتقل من وضع إلى وضع فينتهي إلى حيث ابتداء، ويحسب أن الكلمة وما تصرف منها مشتقات من اسم: الدار وقالوا، دارت الرحى حول قطبها ومنه قوله تعالى ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾² وسمي الصنم دوارا... لأنه يدور به زائره كالطواف وسميت الكعبة دوار أيضا وسمي ما يحيط بالقمر دارة... ومعنى (تدور أعينهم) أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائرة من سرعة تنقلها محمقة إلى الجهات المحيطة³.

بناء على هذا فإن دور اللغة العربية يدور مع أصول الحضارة التي كتبت باللغة العربية، كما تدور أصول الحضارة باللغة العربية، وجودا وعدما .

5) ارتباط الحضارة بالدين .

معنى الدور الذي شرح سابقا يحتم علينا النظر في ارتباط الحضارة بالدين فأقول: إن ارتباط الحضارة حضارة ما بالدين ارتباط وثيق إذا أخذ في مفهومها: إنها إنتاج الإنسان

1 سورة البقرة، الآيات 30 - 32

2 سورة الأحزاب، الآية 19 .

3 التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 21/ص 297.

صاحب: «الفكر والوجدان والإرادة»¹ وجعل خليفة في الأرض ومعمرها ومؤثرا فيها قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾² وقال سبحانه ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾³ إذن فالإنسان خلق ودعى للحياة على الأرض ضيفا ليعمر الأرض ويصلحها وعليه فيمكن إجمال " حضارة الإنسان في المجالات الآتية:

الحضارة الأدبية المتمثلة في القوانين والمقاييس الأخلاقية ...

الحضارة المادية المتمثلة فيما يشاهد من عمارة الأرض ...

حضارة التكنولوجيا المتمثلة في التقدم الصناعي والعلمي ...

فهذه الجوانب الثلاثة «بحاجة ماسة إلى الدين لتصبح في خدمة الإنسان وتطور حياته العقلية والسلوكية من جانب والمادية من جانب آخر»⁴.

والقول: «بحاجة ماسة إلى الدين» يقصد به الدين الصحيح لتصحيح الأخطاء، وتصويب المنزلقات، وكشف الزيوف والخرافات والأوهام والظنون كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ، قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾⁵.

إذن فما من حضارة إلا وأثر الدين قائم يتوسطها والدليل على ذلك كثرة المعابد، والأعياد، والطقوس والقرايين المهركة للناس وكثرة الممثلين لتلك المعتقدات وآثارهم على الناس... لماذا؟ لأن غريزة التدين فطرية في الإنسان إذن لا بد من أن يعتقد الناس معتقدا ما، ولا بد أن يترك ذلك المعتقد بصماته وتوقيعاته على نشاط الإنسان بوجه من الوجوه .

1 الدين والحضارة الإنسانية، ص3

2 سورة البقرة، الآية 29

3 سورة هود، الآية 60

4 الدين والحضارة الإنسانية: ص3 .

5 سورة الشعراء، الآيات 69 – 74.

فلنتنظر إلى آثار حضارة القدامى وبقاياها بل حتى الحضارة المعاصرة التي ادعى كثير من روادها التخلص من الدين والتدين كل ما هنالك أنهم خرجوا من باب ودخلوا من باب آخر إلى عالم التدين...

إذن فهل تخلى الإنسان عن مظاهر التدين ومعتقداته؟ لا. لا أبدا..، كيف يتخلى عن شيء هو جزء من فطرته وحاجاته النفسية هل تخلى يوما عن الطعام والنوم والبحث عن الرفيق والبحث عن الأمن؟ لا. لا إذن كذلك شأن التدين والمعتقد.

و يمكن لنا أن نختصر تعريف الحضارة بقولنا إنها: «ثمرّة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة»¹، ولا ريب أن أدنى «مستويات هذا التفاعل يتمثل في الجهد الذي يبذله أهل بادية ما، من أجل تحصين مجتمعهم السائب في قوالب من التخطيط العمراني وبديهي أن هذا الجهد لا بد أن يعتمد على استغلال العمر الذي نعبر عنه هاهنا بالحياة في تسخير مظاهر المكونات المختلفة المحيطة بنا لسعادة الإنسان ورفاهيته»².

إذن فلنتنظر إلى هذا الأمر الحضاري أو هذه الصورة الحضارية التي تعد نموذجا من خلال هذا النص القرآني، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾³.

فهذه صورة من صور الحضارة والعمران البشري ونموذج من النماذج في مرحلة من المراحل، فالحضارة إذن «ليست أكثر من ثمرات الجهد الذي يبذله الإنسان لاستغلال المكونات التي من حوله في سبيل تحقيق مقومات المجتمع الإنساني وبث أسباب الخير والسعادة فيه»⁴.

1 منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 19.

2 نفسه، ص 20

3 سورة النحل، الآيات 80 – 83

4 منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، ص 20

من مثل قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ، وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾¹.

إذن فعناصر الحضارة أو أركانها الأساسية «إنما تتمثل في هذه الكليات الثلاث: الإنسان، الحياة، الكون، وإنما مركز الثقل من القصد بالإنسان أو الكيان الإنساني في هذا في هذا المقام: عقله، وتفكيره، ووجدانه...»².

وعند التأمل فيما تقدم يتضح «أن الإنسان أهم هذه العناصر الثلاثة، وأخطرها على الإطلاق إذ هو العنصر الفعال والمؤثر .

أما العنصران الآخريان وهما الكون والحياة فممنفعلان ومتأثران وهذا يعني أن الإنسان هو محور العمارة الكونية في هذه الحياة الدنيا وذلك بما قد أوقى من نعمة الفكر والبصيرة .

أما كل ما عداه مما يراه من حوله فأسباب ميسرة نثرت له على قارعة الطريق ليراها فيهتدي إلى عظيم جدواها ويستخدمها في بلوغ أمانيه وغاياته»³ .

من هنا يجب أن نستوعب وضع الإنسان ككائن عاقل مفكر مختار مكلف مخلوق للامتحان، ووضع الكون كونه مخلوقا مسخرا للإنسان وجعل سيده له بعد الله مما يحتم الاستماع والإنصات إلى هذا الصوت العالي الرفيع الذي يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾⁴.

1 - سورة النمل، الآيات 3-9.

2 منهج الحضارة، ص 20

3 منهج الحضارة: ص 21

4 سورة لقمان، الآية 19

ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾¹.

و يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾²

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³ ولكن شئنا أن نتوسع في مدلول الحضارة وال عمران وموادها الخام ذكرنا الكثير من نصوص القرآن ولكن نكتفي الآن بما يأتي:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَرْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾⁴.

وقال: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَيْنًا وَقَضْبًا وَرَزَقْنَاهَا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعَامِكُمْ﴾⁵.

هذه هي جوامع مقومات الحياة المادية التي يتعامل معها الإنسان ويشيرها ويعالجها ويجوؤها ويدخل عليها تعديلات حسب تطوره المعرفي واستغلال مواهبه وقدراته واكتساب تقنيات علمية تؤهله لذلك كما سجل الكتاب الخالد بعض النماذج.

1 سورة الملك، الآية 15

2 سورة البقرة، الآية 28

3 سورة البقرة، الآيات 20 – 21

4 سورة النبأ، الآيات 9 – 16

5 سورة عبس، الآيات 17 – 32

من مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَتَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾¹ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾².

ومن مساوئ الحضارة المادية التي لا ترعى حق رب السموات والأرض ورب الإنسان ما يذكره القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾³. وفي آية أخرى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾⁴.

والمقصود هو الدعوة إلى المقارنة والموازنة ليصفو الحق واللباب وإلى المحاكمة العقلية الواقعية والمقايسة للنظر فيما يتوافق فيه الماضي بالحاضر ليدرك الإنسان المعاصر مدى خطر ما تركبه البشرية من استغلال خيرات الأرض وقيم الحياة المادية فيما يجر التدمير وينشئ الفساد العريض بينما خالق الإنسان ومعطي النعم للأنام يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

1 سورة الروم، الآية 9 .

2 سورة الحج، الآيات 40 – 44 .

3 سورة العنكبوت، الآية 28 – 29 .

4 سورة الأعراف، الآية 81 – 83 .

إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ لأن ما يجري ويستثمر من الفساد في الأرض يؤدي إلى نزول السنة المهلكة للأقوام الغابرة قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢﴾

وفي هذا إعلان عن ناقوس الخطر لكل حضارة تتبنى الجانب المادي وحده، وتعيش في انقطاع مع خالقها وبارئها كما قال تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٣﴾ وفي آية أخرى يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ .

6) شهادات علماء المسلمين وبعض المستشرقين في فضل اللغة العربية:

إن الواقع التاريخي للغة العربية وللدين الإسلامي خلال أربعة عشر قرنا، يثبت حقيقة التلازم والارتباط بين انتشار كل منهما، هذا إلى جانب حقيقة أخرى وهي إن في كل من الدين واللغة من القوة الذاتية والاستعداد الأصيل ما يكفل له الغلبة والانتصار، فاللغة هي لغة حية أدت رسالتها في الحياة خير أداء، وعبرت في عصورها الأولى عن حاجات المجتمعات التي تتخذها لغة لها تعبير بها عن مطالبها وآلامها وعلومها وآدابها، وما زالت اللغة مستعدة للتعبير عن الحياة وما جد فيها، ومستعدة أن تتسع أكثر لكل جديد مبتكر، وهي من أغنى لغات البشر ثروة لفظية تستوعب حاجات الأمة. والعرب منذ العصر الجاهلي مهتمون بلغتهم وقد قيل (الشعر ديوان العرب) .

1 سورة الأعراف، الآية 55.

2 سورة العنكبوت: الآية 40

3 سورة إبراهيم: الآية 45

4 سورة الصافات: الآيات 137 – 138

ولكن اهتمامهم بما ازداد مع ظهور الإسلام، لأن الله عز وجل اختارها لدينه، ثم تضاعف الاهتمام والاعتزاز باللغة العربية . فنزول القرآن بالعربية دليل أهميتها وأفضليتها وباعث نهضتها وصاحب الفضل الأكبر في نشرها وخلودها.

وقد روي عن الإمام الشافعي (رحمه الله) أنه قال: «لِسَانُ الْعَرَبِ أَوْسَعُ الْأَلْسِنَةِ مَذْهَبًا، وَأَكْثَرُهَا أَلْفَاظًا، وَالْعِلْمُ عِنْدَ الْعَرَبِ كَالْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِقْهِ»¹.

وكما نقل عن الإمام ابن تيمية قوله: «إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»².

يقول العقاد: (وستبقى اللغة العربية مادام لها أنصار يريدون لها البقاء، ولم ينقطع أنصارها في عصرنا الحاضر بل نراهم بحمد الله يزدادون ويتعاونون، ويتلاقى أبناء البلاد المختلفة علي خدمتها ودعمها لأنهم مختلفون بمواقع البلاد، متفقون بمقاصد الضمائر والألسنة والأفكار).

ويقول الدكتور حسين نصار في المعجم العربي: لم تنهر اللغة العربية بأهتبار الدولة الأموية، وذلك بفضل القرآن الذي أحاط العربية بهالة من القداسة والجلال غمرت كل مسلم مهما كان جنسه ومهما كانت لغته، فاستمرت حية تتوارثها ألسنة جيل بعد جيل .

ويقول الفيلسوف الفرنسي "رينان" في كتاب اللغات السامية: «إن من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حلُّ سره: انتشار اللغة العربية .. حيث بدت فجأة في غاية السلامة والغني والكمال، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ولم يمض علي فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم إلي اللغة العربية ليفهمها النصارى».

1 تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن عبد الرزاق الحسيني - أبو الفيض الزبيدي، دار الهداية، ج1/16.

2 اقتضاء الصراط المستقيم: عبد الحليم بن تيمية، ت/ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط7، 1999، ج1/527.

ويقول المستشرق برنارد لويس في كتابه (العرب في التاريخ): «إن موجات الفتح الكبرى التي تلت موت محمد، وإقامة الخلافة علي رأس الأمة الإسلامية الناشئة قد سطرت بحروف كبرى كلمة عرب على خريطة القارات الثلاث: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وجعلت منها عنواناً لفصل حاسم رغم قصره في تاريخ الفكر والأعمال البشرية».

ويقول الفيلسوف الألماني "فريتاغ": «اللغة العربية أغنى لغات العالم».

ويقول "وليم ورك": «إن للعربية ليناً ومرونةً يمكنها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر».

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام: «العربية لغة كاملة محبة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتها خطوات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة».

ويقول مصطفى صادق الرافعي: «إنما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به، متميزين بهذه الجنسية حقيقةً أو حكماً».

ويقول الدكتور طه حسين: «إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً».

7) الخاتمة:

اللغة - عند العرب - معجزة الله الكبرى في كتابه المجيد.

لقد حمل العرب الإسلام إلى العالم، وحملوا معه لغة القرآن العربية واستعربت شعوب غرب آسيا وشمالي إفريقيا بالإسلام فتركت لغاتها الأولى وآثرت لغة القرآن، أي أن حبهم للإسلام هو الذي عرهم، فهجروا ديناً إلى دين، وتركوا لغة إلى أخرى.

لقد شارك الأعاجم الذين دخلوا الإسلام في عبء شرح قواعد العربية وآدابها للآخرين فكانوا علماء النحو والصرف والبلاغة بفتونها الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع)، وقد غبر دهر طويل كانت اللغة العربية هي اللغة الحضارية الأولى في العالم.

واللغة العربية أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير عن مدارك العلم المختلفة . ونظراً لتمام القاموس العربي وكمال الصرف والنحو فإنها تعدّ أمّ مجموعة من اللغات تعرف باللغات الأعرابية أي التي نشأت في شبه جزيرة العرب، أو العربيات من حميرية وبابلية وآرامية وعبرية وحبشية، أو الساميات في الاصطلاح الغربي وهو مصطلح عنصري يعود إلى أبناء نوح الثلاثة: سام وحام وياث. فكيف ينشأ ثلاثة أخوة في بيت واحد ويتكلمون ثلاث لغات ؟

إن اللغة العربية أداة التعارف بين ملايين البشر المنتشرين في آفاق الأرض، وهي ثابتة في أصولها وجذورها، متجددة بفضل ميزاتها وخصائصها.

إن الأمة العربية أمة بيان، والعمل فيها مقترن بالتعبير والقول، فللغة في حياتها شأن كبير وقيمة أعظم من قيمتها في حياة أي أمة من الأمم. إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها وبوساطتها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل في عصور طويلة، وهي التي حملت الإسلام وما انبثق عنه من حضارات وثقافات، وبها توحد العرب قديماً وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة على تنائي الديار واختلاف الأقطار وتعدد الدول. واللغة العربية هي أداة الاتصال ونقطة الالتقاء بين العرب وشعوب كثيرة في هذه الأرض أخذت عن العرب جزءاً كبيراً من ثقافتهم واشتركت معهم - قبل أن تكون (الأونيسكو) والمؤسسات الدولية - في الكثير من مفاهيمهم وأفكارهم ومثلهم، وجعلت الكتاب العربي المبين ركناً أساسياً من ثقافتها، وعنصراً جوهرياً في تربيته الفكرية والخلقية.

إن الجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب حياتنا، واللغة مقوم من أهم مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا والرباط الموحد بيننا والمكون لبنية تفكيرنا، والصلة بين أجيالنا، والصلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم . إن اللغة من أفضل السبل لمعرفة شخصية أمتنا وخصائصها، وهي الأداة التي سجلت منذ أبعد العهود أفكارنا وأحاسيسنا. وهي البيئة الفكرية التي نعيش فيها، وحلقة الوصل التي تربط الماضي

بالحاضر بالمستقبل. إنها تمثل خصائص الأمة، وقد كانت عبر التاريخ مسابرة لشخصية الأمة العربية، تقوى إذا قويت، وتضعف إذا ضعفت.

لقد غدت العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفيتها، اعتبروها جميعاً لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والتصوف والأدب والفن.

واللغة من الأمة أساس وحدتها، ومرآة حضارتها، ولغة قرآنها الذي تبوأ الذروة فكان مظهر إعجاز لغتها القومية.

إن القرآن بالنسبة إلى العرب جميعاً كتاب لبست فيه لغتهم ثوب الإعجاز، وهو كتاب يشد إلى لغتهم مئات الملايين من أجناس وأقوام يقصدون لغة العرب، ويفخرون بأن يكون لهم منها نصيب.

كما أن اللغة العربية أكثر لغات المجموعة السامية استخداماً، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم، يتحدثها أكثر من 422 مليون نسمة، حيث تُدرّس اللغة العربية بشكل رسمي وغير رسمي في الدول الإسلامية والدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي، والعربية لغة رسمية في كل الدول العربية، إضافة إلى كونها رسمية في السنغال ومالي وتشاد وإريتريا، وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظومة الأمم المتحدة.

ولقد كان التوازن بين اللغات الرسمية الست أي الإنجليزية والفرنسية والعربية والإسبانية والصينية والروسية، شغلاً شاغلاً لكل الأمانة العاميين لمنظمات الأمم المتحدة، حيث أُتخذت عدة إجراءات منذ 1946م لتعزيز استعمال اللغات الرسمية حتى تكون منظومة الأمم المتحدة وأهدافها وأعمالها مفهومة لدى الجمهور على أوسع نطاق ممكن.

وقد تم إدراج اليوم العالمي للغة العربية الموافق لـ 18 ديسمبر من كل عام ضمن الأيام الدولية التي تحتفل بها اليونسكو.

فاللغة العربية التي حملت هذا الميراث الضخم المتمثل في القرآن والسنة والتراث الفقهي والذخائر الفكرية والأدبية لا يعجزها أي تقدم في أي مجال من مجالات الحياة، فهي ماضية في رسالتها البيانية والتاريخية .

وهي التي وسعت كتاب الله كما قال حافظ إبراهيم - لفظا وغاية- ووسعت حضارة الإسلام علما وتاريخا وأدبا، واستطاع علماء العرب والمسلمين أن يطوروها عن طريق التعريب والاشتقاق، هذه اللغة الولود الودود الغنية ليست عاجزة عن ركب العلم الحديث وإنما أبنائها هم العاجزون.

ولله الحمد والمنة...